الملتقى الوطني: "الدراسات القرآنية وأثرها في البحوث اللغوية والأدبية –رؤية تجديدية-"

يوم 30 أفريل 2023،

جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان .

منهج الحقول الدلالية وفاعليته في فهم الرؤية القرآنية للعالم – قراءة في كتاب الله والإنسان في القرآن–

The semantic fields approach and its effectiveness in understanding the Qur' anic vision of the world - a reading of the book God and Man in the Qur' an -

د. سارة بوفامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد توشيهيكو إيزوتسو (1914-1993) واحدا من الباحثين المستشرقين المعروفين بموضوعيتهم وأدبهم الشديد في التعامل مع النص القرآني ، وقد قدم في كتابه "الله والإنسان في القرآن " مفاهيم دلالية ذات خصوصية قرآنية من أجل جعل المختصين في دراسة الإسلام يدركون فائدة أن يمتلكوا وجهة نظر جديدة حول مشكلات قديمة ،ويدركون قيمة ذلك"[1] فقد استثمر توشيهيكو علم

---

[1] الله والإنسان في القرآن: توشيهيكو إيزوتسو .تر:هلال محمد الجهاد. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،لبنان، ط1،2007، ص30

الدلالة في محاولة منهجية جادة للإمساك بمعاني المفردات القرآنية المركزية وضبط سماتها المميزة في فلك الحقل الذي تنتمي إليه ضمن معجم قرآني متكامل يحمل رؤية خاصة للعالم.

تهدف هذه الورقة العلمية إلى تتبع المنهج الذي اعتمده توشيهيكو في كتابه، وكيفية اشماره علم الدلالة بعدّه أداة جديدة لتتبع الرؤية القرآنية للعالم، وهل قدّم هذا المنهج إضافة فعلية للدراسات اللغوية القرآنية؟

الكلمات المفتاحية: الحقول الدلالية، علم الدلالة القرآني، الدراسات القرآنية، توشيهيكو إيزوتسو، ا لمناهج الدلالية.

Semantic fields,Quranic semantics,Quranic studies ,Semantic approaches ,Toshihiko Izutsu

Abstrac

Toshihiko Izutsu (1914-1993) is one of the Orientalist researchers known for his objectivity and extreme literature in dealing with the Qur’anic text. In his book “God and Man in the Qur’an,” he presented semantic concepts with Qur’anic specificity in order to make specialists in the study of Islam realize the benefit of having a point of view. ″[God and Man in the Qur’an: Toshihiko Izutsu. Trans.: Hilal Muhammad al-Jihad. Center for Arab Unity Studies, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2007, p. 30] Toshihiko invested the science of semantics in a serious, systematic attempt to grasp the meanings of The central Qur’anic vocabulary and controlling its distinctive features within the field to which it belongs

within an integrated Qur’anic lexicon that carries a special vision of the world.

This scientific paper aims to trace the approach adopted by Toshihiko in his book, and how he used semantics as a new tool for tracking the Qur’anic vision of the world. Did this approach provide an actual addition to Qur’anic linguistic studies?

مقدمة:

يتلقى الباحث اللساني العربي ما تفرزه الدراسات اللسانية الغربية بحالة من التيه في تحديد موقفها منه، فانقسموا بين متسارع إلى الاحتفاء بالوافد الجديد نقلا وترجمة وتعظيما على أنه السبق الذي يجب احتضانه وتعميم تطبيقه دون مناقشته أو محاورة خلفياته ومنطلقاته ومفاهيمه وآليات تطبيقه. وبين منكر لكل هذه الخركة اللغوية المتسارعة في تطور الدرس اللغوي معرفيا وابستمولوجيا وكذا منهجا ودراسة، والانسحاب باللغة العربية من مجموع اللغات البشرية التي تسعى اللسانيات إلى تحقيق الكفاية العالمية أو الكفاية النمطية منها. وبين تيار ثالث يمكن أن نصطلح عليه بالتوفيقي والذي يسعى جاهدا إلى الجمع بين معطيات التراث اللغوي العربي ومعطيات اللسانيات المعاصرة ، بعرضها على التراث اللغوي والبحث عن تأصيل لها فيما قدمه علماء العربية ، أو بالتطبيق الإجرائي على النصوص الشعرية أو النثرية وحتى على النص القرآني والحديثي.

ولأن القرآن الكريم هو موضوع دراستنا هذه، ولأن المسلم وحتى غيره ممن اهتاماتهم الشرق وماتعلق به ،يسعون في رحلة جاهدة لبلوغ المعنى ، ولاكتناه دلالات القرآن ومقاصده، فكانت الدراسات الدلالية الأكثر قبولا عند الباحث الذي يجمع بين الدراسات اللغوية والقرآنية ، على اعتبار أنه < كان موجودا عند الفلاسفة القدماء وعلماء الدين وكذا الأصوليين والنحاة والبلاغيين من العرب وغير العرب، .....

إلا أنه في الواقع الفعلي ؛ علم الدلالة قد تبلور علما قائما بذاته في القرون المتأخرة من البحث ، .... يبحث في الخلفيات المعرفية / الابستمولوجية أكثر من أي شيء آخر.>[2]

فتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن فاعلية المنهج الدلالي في تحليل الخطاب القرآني ، وهل نظرية الحقول الدلالية باستثمارها أداة إجرائية قادرة على تقديم إضافة فعلية معرفية كانت أو منهجية للدراسات القرآنية؟

وللإجابة عن هذا التساؤل ينطلق البحث أولا من تحديد مفهوم علم الدلالة ومفهوم الحقول الدلالية بتسليط الضوء على دراسة دلالية مهمة جدا طبقت منهج الحقول الدلالية على النص القرآني برؤية جديدة منفتحة على الرؤية القرآنية للعالم أو النظرة الكزنية للقرآن الكريم، بدراسة تحليلية لمصطلحاته المفتاحية في أثناء تشكلها ضمن نظام قرآني متكامل ، أي ضمن سياقها القرآني وليس بعدها وحدات معزولة .

1. كتاب علم دلالة القرآن :

يمثل هذا المصلح عنوانا ثانيا رديفا لكتاب توشيهيكو إيزوتسو الله والإنسان في القرآن ، ومن الواضح قيمة كلا العنوانيين في الدلالة على مضمون الكتاب مادة (العلاقة بين الله والإنسان) ومنهجا (علم الدلالة) ويوضح قيمة العنوانين توشيهيكو في الفصل الأول من الكتاب :" والواقع أن كلا من العنوانيين مهم بصورة متساوية بالنسبة إلى الهدف الخاص بهذه الدراسة . وإذا كان علينا إهمال أي منهما ،فإن العمل كله سيفقد معناه على الفور،لأن ماهو ذو أهمية أساسية هنا ليس الأول ولا الثاني باعتبارهما منفصلين ،بل هذا الجمع بينهما بالذات . إن الجمع بين العنوانيين يوحي بأننا سنقارب وجها محددا من القرآن من وجهة نظر لا تقل تحديدا.[3]

التحليل الدلالي للقرآن لا يعني الدراسة المفرداتية للمعجم القرآني كله ، أي دراسة كل الكلمات التي حدث أن وجدث في القرآن الكريم ،بل يعني الدراسة التحليلية النظامية للكلمات الأكثر أهمية فقط.

---

[2] الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حى نهاية القرن الرابع الهجري: صلاح الدين زرال. منشورات الاختلاف ،الجزائر، ط 1429،1هـ – 2008م، ص7.

[3] الله والإنسان في القرآن: توشيهيكوإيزوتسو. تر: هلال محمد الجهاد. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007،ص29

والتي يبدو أنها تؤدي دورا بالغ الأهمية في تمييز السمة التي الساءدة التي تتكرر في الفكر القرآنية وتتخلله وتسيطر عليه.[4]

◆ **إشكالية الكتاب وأهدافه:**

انطلق توشيهيكو في مؤلفه من افتراض أن القرآن قد درس من زوايا منهجية متعددة ك''اللاهوت والفلسفة والاجتماعية والنحوية والتفسيرية ....إلخ ، وأن القرآن يظهر العديد من الأوجه المختلفة ،لكن ذات الأهمية المتساوية، ولهذا ، فإن من الجوهري تماما أن نحاول منذ البداية امتلاك الفكرة الأكثر وضوحا ما أمكن حول ملاءمة المنهج الدلالي للدراسات القرآنية ، ونرى إن كان ثمة فائدة حقيقية من مقاربة القرآن الكريم منهذه الزاوية الخاصة.[5]ويسهدف توشيهيكو بهذا الكتاب ـ بوجه أخص ــ المسلمين ومن له عناية بالدراسات القرآنية ، مع تقديم منهج جديد أو زاوية دراسة مغايرة تمثلت في " مفاهيم دلالية ذات خصوصية قرآنية من أجل جعل المختصين في دراسة الإسلام يدركون فائدة أن يمتلكوا وجهة نظر جديدة حول مشكلات قديمة ،ويدركون قيمة ذلك"[6]

◆ **محتويات الكتاب: ينقسم الكتاب إلى فصول تسعة**

الفصل الأول:علم دلالة القرآن عرض فيه تمهيدا للمنهج المعتمد في الكتاب .

الفصل الثاني:المصطلحات المفتاحية في القرآن وضح فيه مفهوم المصطلحات المفتاحية، ووضح حدودا فاصلة لدراسته هذه التي خصها بالمعجم القرآني قطعا وإبعاد ما ترتب من مفاهيم انطلقت من المعجم القرآني ثم انتسب إلى رؤى جديدة كعلم الكلام والفلسفة الإسلامية والتصوف.

الفصل الثالث: البنية الأساسية للرؤية القرآنية للعالم. قدم في هذا الفصل مخططا مجردا للبنية الأساسية للرؤية القرآنية للعالم، تمهيدا لتحليل أكثر تفصيلا لبعض الحقول الدلالية ذات الأهمية الكبرى والتي تم عرضها في الفصول الموالية. ووقف عند مجموعة من المفاهيم القرآنية كالغيب والشهادة والدنيا والآخرة ....

---

[4] الله والإنسان في القرآن، ص125-126

[5]الله والإنسان في القرآن ،ص30.

[6] الله والإنسان في القرآن: توشيهيكو إيزوتسو .تر:هلال محمد الجهاد. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،لبنان، ط1،2007، ص30

الفصل الرابع: الله . انطلق أولا من مفردة الله في معناها الأساسي والعلائقي وأخذ يقلبها على مفهومها في الوثنية العربية بالرجوع إلى المعجم اللغوي الجاهلي ، ثم مفهوم ''الله ''في المسيحية واليهودية ثم مفهوم العرب عن الله في المسيحية واليهودية ومفهوم الله عند الحنفاء . يعتبر هذا الفصل كالتجربة الشاهدة على ماسيعرضه في الفصول الموالية عن مركزية مفردة الله في النظام اللغوي القرآنية .

الفصل الخامس: العلاقة الوجودية بين الله والإنسان . وتعرض فيه لمفهوم الخلق في القرآن الكريم ومصير الخلق ، وأن العلاقة بين الله والإنسان أولا هي علاقة الخالق والمخلوق ، وعمل على مقارنة مفهوم الخلق والمصير الإنساني بين الجاهلي والقرآني، وإلى أي مدى كان هذا المفهوم مشكلا للرؤية الجاهلية للعالم؟

الفصل السادس: العلاقة التواصلية بين الله والإنسان ـ التواصل غير اللغوي ـ .انطلق في هذا الفصل من فكرة أن التواصل المشترك بين الله والأنسان يسير في صورتين اثنتين ؛ لغوية عن طريق الوحي والدعاء وغير لغوية عن طريق الآيات الطبيعية والكونية من الله إلى الإنسان وعن طريق التعبد غير اللفظي من جانب الإنسان ، فوقف بالشرح والتحليل والتمثيل لحقول دلالية مشكلة للنظام اللغوي من قبيل الآيات وكيفية تحقق الاستجابة لها ثم أثار مفهوم هداية الله لعباده.

الفصل السابع: العلاقة التواصلية بين الله والإنسان ـ التواصل اللغوي ـ .وركز البحث كله في هذا الفصل على الوحي بعده العلاقة التواصلية اللغوية الأساس الله ـ إنسان وعرض فيه خصوصية هذه العلاقة كما وقف عند العلاقة التواصلية في الاتجاه الآخر الإنسان ـ الله المتمثلة في الإنسان ـ الله التي تتجسد في الدعاء والمناجاة.

الفصل الثامن:الجاهلية والإسلام . بعد ما أسس له توشيهيكو من مفهوم مركز النظام القرآني وهو الله فالتطور الدلالي مس مفاهيم عديدة كانت موجودة في النظام الجاهلي ولكن برؤية مغايرة دائما هي ذات مركزية واحدة '' الله '' ، من أهم هذه المفاهيم الطاعة والعبودية .

الفصل التاسع: العلاقة الأخلاقية بين الله والإنسان: وعرض في هذا الفصل للعلاقة الله ـ إنسان ومفهومي الرحمة والعقاب والوعد والوعيد والحقل الدلالي الذي يجمع هذه العلاقة وعلاقته مع النظام الممفهومي القرآني ذو دلالة مركزية واحدة دائما ؛ **الله**.

2. المصطلحات المفاهيمية المؤسسة للكتاب:

✧ علم الدلالة وعلم دلالة القرآن :

علم الدلالة **كما عرفه** أحمد مختار عمر بأنه دراسة للمعنى، ''أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز، حتى يكون قادرا على حمل المعنى[7]. إذن فعلم الدلالة ليس بتلك البساطة المفهومية أو الإجرائية، يعتبر البحث في الدلالة من أصعب المجالات وأكثرها تعقيدا، لتلونها بألوان متعددة لاعتبارات عديدة وخضوعها لمعايير كثيرة تصعب من إمكانية الامساك بها أو الجزم على صحتها. فالدلالة مرتبطة ارتباطا شديد الوثاق مع كل مستويات اللغة صوتا وصرفا وتركيبا ومعجما ولا تنفصل عن هذا الكل بأي شكل من الأشكال بل وتمثل غاية كل مستوى من هذه المستويات التي تتظافر معا في شكل متناغم لبلوغ المعنى ،إذ يستحيل تحقق هذا الفصل في الواقع التواصلي ولا يتجاوز الفصل بينها حدود الإجراءات التعليمية . كما ترتبط الدلالة بالمتكلم والسامع والأعراف اللغوية المشتركة بينهما والمعارف الآنية التي يحددها الحدث اللغوي ، والخلفيات الفكرية والنفسية و..... ، باعتبارها موجودة قبل الحدث الكلامي وأثناءه وبعده كل هذا وغيره يوحي بالصعوبة البالغة التي تعتري البحث الدلالي ، وربما هذا ما أفرز تقسيمه إلى اتجاهات ثلاث[8] :

الاتجاه الأول: يدرس المعنى على مستوى المفردة على نحو ما يجري في المعجمات .

الاتجاه الثاني:يتوسع ،فيدرس المعنى على مستوى التراكيب.

الاتجاه الثالث: يخصص الدلالة لدراسة المعنى على مستوى اللفظة والعبارة كليهما. ولكن في إطار اجتماعي معين من زاوية معينة ،هي زاوية الاستعمال الحي في البيئة الخاصة.

وقد نبه توشيهيكو إلى صعوبة علم الدلالة ، ووصفها بالتعقيد الذي يصل إلى استحالة الفهم على غير المتخصص وأرجع ذلك ـ كما وضحت أنفا ـ إلى سعة مجال الدراسة وعدم إمكانية حصره '' فهو

---

[7] ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص11.

[8] أبحاث في اللغة: أحمد سليمان ياقوت . دار المعرفة الجامعية ، 1994،ص10. ينظر: الظاهرة الدلالية ، ص56.

واسع في الحقيقة إلى درجة أن كل شيء تقريبا مما يمكن اعتباره ذا معنى ـ أيّ معنى ـ، سيكون مؤهلا تماما لأن يصبح موضوعا لعلم الدلالة . ... وبهذا الفهم ـ يشترك البحث في المعنى باحثون في مجالات متنوعة كعلم اللغة بالمعنى الضيق للكلمة ،وعلم الاجتماع والإناسة (الأنتروبولوجيا)وعلم النفس وعلم الأعصاب وعلم التشريح وعلم الأحياء والفلسفة التحليلية والمنطق الرمزي والرياضيات ، وأحدثها الهندسة الالكترونية.[9]"

- **مفهوم الدلالة عند توشيهيكو إيزوتسو**: كل تلك التعقيدات المتعلقة بفهم علم الدلالة والبحث عن المعنى دفعت توشيهيكو إلى تحديد تصوره الخاص للدلالة ؛ "علم الدلالة –كما أفهمه – دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما، تتطلع للوصول في النهاية إلى إدراك مفهومي "لرؤية للعالم" الخاصة بالناس الذين يستخدمون تلك اللغة كأداة ليس للكلام والتفكير فحسب، بل الأهم، كأداة لمفهمة العالم الذي يحيط بهم وتفسيره.

  إن علم الدلالة بهذا الفهم نوع من "علم الرؤية للعالم" Weltanschauungsleh أو دراسة لطبيعة رؤية العالم وبنيتها لأمة ما، في هذه المرحلة المهمة أو تلك من تاريخها»[10] مجموعة متجانسة من المفاهيم تتيح لنا بنينة تصور كوني للعالم انطلاقا من خبراتنا وتجاربنا.

- **علم دلالة القرآن** :قدم توشيهيكو المفهوم الذي يحمله مصطلح "علم الدلالة القرآني" المركب من جزئين علم الدلالة والقرآن أنه يعني وفقط الرؤية القرآنية للعالم أي النظرة القرآنية للكون فلابد لعلم دلالة القرآن أن يبحث بشكل رئيسي في مسألة كيفية تبنين عالم الوجود في منظور هذا الكتاب الكريم. [11]

- **الحقل الدلالي**:مجموعة من المفاهيم أو المصطلحات الأساسية التي تترابط في ما بينها لتؤدي وظيفتها المستقلة في إطار النظام المفهومي الشامل .وهذا الأخير يتكون عادة من عدد يقل أو يكثر من الحقول الدلالية المتعالقة.[12]

---

[9] الله والإنسان في القرآن ،ص31.

[10] الله والإنسان في القرآن ص31

[11] الله والإنسان في القرآن ،ص31.

[12] الله والإنسان في القرآن ،ص373

✧ **رؤية العالم Weltanschauungsleh** : نتاج الطريقة التي يمفهم بها المجتمع عالمه، إذ يحوله إلى مجموعة من المفاهيم المتعالقة في شبكة ضخمة معقدة ،أو كل منظم من المفاهيم ،التي يتضمنها معجم المجتمع، بحيث يعبر عن وجوده وأسلوبه في فهم العالم وتنظيمه والتفاعل معه.[13]

3. التطور الدلالي في المعجم القرآني:

ربط ميشال بريال سيمانتيك بدراسة تطور الكلمة وتتبعها تاريخيا من ميلادها إلى وفاتها، قائلا: «إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم»[14] لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها. ولذلك اعتقد بعض الباحثين أن علم الدلالة ظهر من رحم المنهج التاريخي، بل إن منهجه أصلا هو المنهج التاريخي"[15]. أو المنهج التطوري التأصيلي الذي يقف على ميلاد الكلمات ويتتبعها في مسارها التاريخي وقد يردها إلى أصولها الأولى. وقد سار اللغويون في هذا المضمار بالبحث في مفهوم التطور الدلالي وأسبابه وخصائصه والتأصيل للكلمات الجديدة ، ولكن هذه الإجراءات ليس غاية علم الدلالة القرآني ـ كما اصطلح عليه توشيهيكو ـ وإنما هو يبحث في التطور الدلالي للمعجم القرآني الذي يساوي تماما تطورا في المفاهيم التي تحملها رؤية كونية جديدة في مقابل رؤية قبلية عربية جاهلية أي بمقابلة نظام بنظام، بالرغم من عروبة الأصوات والمفردات والتراكيب في المعجمين اللغويين ، " فعلم الدلالة التاريخي لا يقزم كما فهم من قبل على تتبع الكلمات المفردة في أنفسها ،من أجل رصد كيفية تغييرها لمعناها في مجرى التاريخ، إن ذلك هو المنهج النموذجي لدراسة اللغة في القرن التاسع عشر، على حين أن علم الدلالةالتاريخي كما نفهمه الآن يبدأ فحسب عندما ندرس تاريخ الكلمات في إطار الأنظمة السكونية التي تنتمي إليها كلها ،أي عندما بتعبير آخر، نقارن سطحيين أو أكثر مع بعضهما مما يماثل اللغة نفسها ـ

---

[13] الله والإنسان في القرآن ،ص373

[14] – علم الدلالة –أصوله ومباحثه في التراث العربي–: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 17.

[15] – الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 58.

لنقل العلربية ـ في مرحلتين مختلفتين من تاريخها ، تفصل بينهما فسحة من الزمن. [16]

✧ المصطلحات المفتاحية في القرآن الكريم :

لا تقف كل مفردات المعجم القرآني الموقف الواحد من الأهمية في بنينة المعجم اللغوي الجديد ومفهمته ، فليست مفردات اللغة كلها تحمل القيمة نفسها لتشكيل التصور المفاهيمي أو الرؤية الكونية. وبالتالي لابد من تحري الدقة في انتقاء المفردات التي ترقى لمصاف المصطلحات المفتاحية لاستثمارها في الاطلاع على الرؤية القرآنية للعالم. [17] والمقصود من المصطلحات المفتاحية:" كل كلمة ذات أهمية خاصة ويؤطرها حقل دلالي بعينه ضمن النظام المفهومي الكلي وتؤدي دورا حقيقيا حاسما في تشكيل البنية المفهومية لرؤية العالم،"[18] بحملها لمعنى علائقي يأتي دوما من الاتحاد الجوهري الذي تدخل فيه ضمن نظام معين، تحتل فيه موقعا خاصا في حقل خاص، مرتبطة بعلاقات متعددة الأشكال بكل الكلمات المهمة الأخرى في ذلك النظام. [19] يؤسس له هذا النظام بمفاهيم إضافية غير موجودة في المعنى الأساسي الذي يتحرك مع الكلمة حيثما كانت .

✧ المعجم اللغوي القرآني ، العلاقة التواصلية بين الله والإنسان:

يمثل المعجم " التسمية الأخرى للنظام المفاهيمي الشامل من حيث إنه مجمزعة من الحقول الدلالية المتعالقة التي يتكون كل حقل منها من عدد من المفاهيم المتعالقة أيضا بدورها. والمعجم بهذا الفهم ليس مجموع الكلمات المرتبة ألفبائيا، بل هو العلاقات بين كلمات اللغة المهمة في مرحلة من مراحل تطورها."[20] وبتعبير آخر المعجم اللغوي هو العلاقة التشابكية بين المصطلحات المفتاحية للغة ما في مرحلة ما. ومن هنا بدأ توشيهيكو بالتنقيب عن هذه المصطلحات المفتاحية المشكلة للمعجم اللغوي القرآني ،وهي تحمل في علاقاتها المتشابكة ببعضها البعض وفي علاقتها بالكلمة المركز نظاما مفهوميا جديدا مغايرا للنظام السابق له مباشرة ؛ النظام اللغوي الجاهلي ، وكذا الأنظمة اللاحقة له والتي انبثقت مبدئيا من القرآن ثم شكلت لنفسها رؤية جديدة مذهبية كانت أو فلسفية ، ووعليه يجب الحرص على :عزل هذا النظام عن الأنظمة المفاهيمية التي انبثقت عنه في العصور الإسلامية اللاحقة والتي تشكل أنظمة مفاهمية لها صلة وثيقة بالنظام القرآني، لدرجة يصعب وضع الحدود بينها، إلا أنها في الواقع تملك نظاما مفهوميا خاصا بها تشكل من النظام القرآني فعلا إلا أنه تنعكس فيها

---

[16] الله والإنسان في القرآن :ص73– 74.
[17] ينظر: الله والإنسان في القرآن، ص51–53.
[18] الله والإنسان في القرآن، ص374.
[19] ينظر: المرجع نفسه، ص 45.
[20] الله والغنسان في القرآن ،ص 374

صورة التفكير الخاص بواقع المفكر أو المفسر أو البيئة والعصر التي انبثق عنها هذا التصور المفاهيمي الديني والذي لا يمكن أن نساويه أو نطابقه بالتصور المفاهيمي القرآني[21] .

وكما هو واضح من عنوان الكتاب ومن التفصيل الذي عرضه توشيهيكو في الفصل الأول من الكتاب، والذي وضح فيه أن هدفه يتمثل في الدراسة الدلالية للعلاقة التواصلية بين الله والإنسان ، فتحرى توشيهيكو المصطلحات المفتاحية المشكلة للمعجم اللغوي المتعلق بهذه الجزئية بالتحديد ، ووزعها على فصول البحث، وفي كل مرة يؤكد على مبدأي العزل والمقارنة ؛ عزل المفهوم القرآني عن التأويلات اللاحقة له ومقارنة المفهوم القرآني الجديد بالمفهوم الجاهلي.

قسم توشيهيكز هذه العلاقة إلى علاقة وجودية (خالق ومخلوق) وعلاقة أخلاقية (اله الرحمة والمؤمنين) و(اله العقاب والكفار) وعلاقة تواصلية غير لغوية (آيات كونية ـ مؤمن وكافر بها) وعلاقة تواصل لغوية [(الوحي ـ آيات لغوية) ـ مؤمن وكافر]، وماتثيره هذه العلاقة من مفاهيم جديدة ورؤية كونية مغايرة تماما في جوهرها لتلك التي كانت تشكل تصور الإنسات الجاهلي لعلاقته مع الاله،

فالمفردة< **الله** > نفسها استعملها الجاهلي بعدها وحدة دلالية تحمل معناها الأساسي المشترك الدال على الألوهية بمفهومها العام في كل المعتقدات التي تؤمن بالخلق والقوة ووو... وكذلك الرؤية الجاهلية ،باستخدامها هذا المصطلح ليكون على الأقل البيئة الممهدة لتقبل الرؤية الجديدة لمفهوم الإله ، إلا أن المعنى العلائقي الذي أضافه التصور الجاهلي لمفهوم الإله وضعه في صراع جوهري مع الإله في الرؤية القرآنية للعالم ، <فمن المؤكد أن الإسلام قد وجد في المكونات العلاقية التي نمت حول مفهوم [الله]في نظام الجاهلية شيئا ما مغلوطا ومتعارضا تماما مع تصوره الديني الجديد ،فكافح ضده وضد من يؤيده ،وكانت على رأس تلك العناصر المرفوضة فكرة أن الله ـ على من أنه الإله الأعلى بلا شك ـ قد سمح بوجود مايدعى بالشركاء معه.>[22] إذن المعنى العلائقي للإله مختلف بشكل جوهري بين النظام الجاهلي والقرآني يخرج بذلك كل من يرى لله شريكا ولو واحدا من النظام القرآني فالوحدة الدلالية < الله > كلمة مركز وتدور في فلكها المعاني العلائقية لمصطلحات مفتاحية أخرى لا يمكن تصورها خارج هذا النظام من قبيل الآيات والوحي والإيمان والكفر والتقوى والعبادة والوحي ، فلا يمكن تصور هذه

---

[21] مقاربة دلالية للقرآن الكريم ــ قراءةفي منظولر توشيهيكو إيزوتسو : سارة بوفامة .مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة،الجزائر، مج 35،ع3،2021.

[22] الله والإنسان في القرآن، ص162.

المصطلحات إلا وهي تشكل شبكة مفهومية تضم < مجموعة العلاقات المعقدة والمتشابكة بين الحقول الدلالية ككل والخاضعة لنظام بعينه .>[23] ذات مركزية إلاهية.

ومن المصطلحات المفتاحية المؤسسة للرؤية القرآنية وتصورها للعلاقة الله ـ إنسان مصطلح فقد أخذت المفردة بعدا مفاهميا جديدا ضمن الرؤية القرآنية المؤسسة لنظام جديد مغاير للنظام الجاهلي الذي عرف هذه الوحدة الدلالية ووظفها في سياقات متعددة ذات معنى أساسي يشترك مع المعنى القرآني الجديد ولكن دخولها ـ الفعلي ــ ضمن النظام القرآني شحنها بمعنى علائقي مكتسب يحمل دلالاته ضمن الشبكة المفاهيمية الجديدة قال تعالى: {**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾الشورى 51 ،إذن فهذه الآية توضح تصورا جديدا لمفردة الوحي ضمن النظام القرآني المؤسس لرؤيه الخاصة للعلاقة التواصلية اللغوية بين الله والإنسان. هذه العلاقة االتواصلية الخاصة ، لتمايز طرفي التواصل الناحية الوجودية الأنطولوجية، ما يستدعي بالضرورة ـ في الرؤية القرآنية حضور الوسيط و أن تكون علاقة غير مباشرة.

إذن هذه العلاقة اللغوية في وجهها التنازلي : الله ، وحي ، إنسان تشكل رؤية جديدة للعالم تمثلت في المركزية الالهية المرسلة لتعاليم جديدة عن طريق الوحي لغة والآيات الكوينية ، والمتلقي لها ضمن هذا النظام ينقسم بين الممتثل والرافض في شكل تقابلات متضادة ،فتدخل مفاهيم جديدة كالتقوى والإيمان والكفر والعبادة والخضوع والرحمة والعقاب مشكلة الرؤية التواصلية الجديدة ضمن هذا النظام، ذو المركزية الالهية ، فإذا لم يكن المصطلح المفتاحي المكزي مفهوما وواضحا في ذهن الإنسان وفق هذه الرؤية القرآنية فهو خارج النظام تماما. لأن < الله يقوم في مركو عالم الوجود بالذات .كل الأشياء الأخرى ،الإنسانية وغير الإنسانية مخلوفات له، وإذن هي بحد ذاتها أدنى منزلة منه في تراتبية الوجود بصورة مطلقة. وبهذا المعنى لا يمكن أن يوجد شيء مضاد له.>[24] إذن بصورة أخرى الله من وجهة دلالية هي الكلمة المركز العليا في المعجم القرآني التي تهيمن على الحقول الدلالية كلها وعلى النظام كله تبعا لذلك إن مفهوم الإنسان يشكل القطب الرئيسي الثاني الذي يقف وجها لوجه بإزاء القطب الأساسي .>[25]

---

[23] الله والإنسان في القرآن ،ص 373.
[24] الله والإنسان في القرآن، ص128,
[25] المصدر نفسه ص 128.

الخاتمة: سعى البحث إلى تسليط الضوء على دراسة هي رائدة في مجال الدراسات الدلالية التي اتخذت القرآن مادتها الأولى ، من أجل محاولة الإجابة على مدى فاعلية تنويع التدبر في القرآن الكريم بأدوات منهجية جديدة، وبعد التدرج في البحث يمكنني القول :

- ✧ **عرض توشيهيكو مصطلحا جديدا في الساحة اللسانية وفي الدراسات القرآنية وهو مصطلح علم دلالة القرآ ن وقدم له مفهوما وطبق له .**
- ✧ **توشيهيكو قد سلم لنا أدوات منهجية للنظر بوجه من التمحيص والتدقيق في المعجم القرآني والبحث فيه عن رؤيته للعالم ، فنمتثل للمركزية الإلاهية.**
- ✧ **إن تبني هذا المنهج من فريق عمل في الدرسات القرآنية سيقدم لنا قراءة جادة للعجم القرآني المشكل لرؤية العالم ، في صورها الآخرى المكملة للعلاقة الله ـ إنسان .**
- ✧ **علم الدلالة القرآني يفتح أمام القارئ أدوات جديدة تتيح له القراءة الشمولية التكاملية للوصول إلى الرؤية القرآنية للعالم التي تتشكل في شبكة مفاهيمية تمثل العلاقة التواصلية الله ـ إنسان .وأظنه المطلوب الذي يسعى إليه المسلم.**